من كفر معتقد أن المهدي المعلَّم رسول الله يكفر

لأبي عبدالله
الحسين بن موسى اللحيدي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وسيد المرسلين نبينا مُحَمَّد ، وعلى الأتقياء الأوفياء من آله وصحبه ، من الأولين والآخرين ، أما بعد :

إن هذه المسألة من المسائل المصيرية والاعتقادات الفصلية في أمر المهدي عليه السلام ، وهي مسألة اعتقاد البعض (كفر كل من اعتقد أن الله يرسل المهدي عليه السلام)* وقد تولى كبر هذه الضلالة في وقتنا مخبول بريدة القصيم المدعو عبدالكريم الحميد أبي حصان ، وتلقفها عنه بعض السفهاء أهل الحمق والغرور ممن ارتكس في الجهل والخسران .

وهذه المسألة الآن تعد من أخطر المعتقدات التي تعلقت بأمره وأُحدِثَتْ من المبطلين المكذبين في رده ، حتى بلغ الأمر أن قد يهلك أو هلك من اعتقد هذا الاعتقاد المنكر العظيم على ما ثبت لدينا في واقع الكثير ما ليس هذا أوان ومناسبة ذكره .

ومن البلاء في ذلك أن جرَّأ بعض السفهاء على هذا المعتقد ، بعض العامة من الناس ممن يجهل جهلا مركبا في مثل هذا المبحث وغيره من مباحث الشرع ، ودفعوهم له أو كانوا سببا لذلك ، حتى حسبوه من الحق الذي لا يطرقه الشك بتاتا فضلا عن أن يكون من الباطل يقينا .

* أصل هذا الكتاب مقالة نشرت في موقع المهدي عليه السلام بتاريخ 1425/4/16 هـ .

وفي عداد هؤلاء ممن ضلوا بهذه الفرية العظيمة أقرباء للمهدي اللحيدي عليه السلام نفسه ، بله من أشدهم قربا لقلبه ومحبة ! ، وتلك وربي بلية عظيمة وفتنة وخيمة على أهلها ، تقحمها من ضل منهم وجهل ، جهلا وضلالا عظيما مبينا بأدلة المنع من ذلك ، وإدراك أن حقيقة هذا المعتقد المنكر تكذيب الله تعالى ورسوله ، وتكفير صحابة رسوله ﷺ ممن روي عنه القول بأن المهدي إنما يخرج بعثا من المولى ﷻ ، والبعث إنما حقيقته لما يكون من المولى العزيز الحكيم أن يكون إرسالا شرعيا مرضيا لله ، ولا معنى له غير ذلك ، فكيف أقدم بعض الطغام من السفلة والحمقى الجهال بالجرأة على اعتقاد هذا أو التلفظ به على الرغم من ذلك ؟ ، لا شك ما جرَّأَهم على هذا إلا الجهل بمعنى الأدلة المانعة منه ، لأن هؤلاء لو علموا أنه يلزم من هذا الاعتقاد الظني ، تكذيب الله تعالى ورسوله ، وتكفير من قال به من أصحاب مُحَمَّد ﷺ لما جرؤا عليه بعد ذلك وفيهم ذرة من خشية الله تعالى ، أو مسكة من عقل وجذوة من بصيرة .

واليوم من أجل التنبيه على هذا الأمر الجلل الخطير ، وإشعار أتباع المهدي عليه السلام بأهمية هذا الأمر وضرورة المفاصلة عليه في عقيدتهم ودينهم ، فقد يُلهي المرء نصحه لمن يحب وطمعه بهداية الآخرين لما يعتقد من الحق في أمر بعث المهدي عليه السلام ، فيكثر لهم في الجدال وتبيين محل البراهين من أمره بعيدا عن التأكيد والتفصيل في هذا المبحث الأهم والخطير ، والذي هو من العقيدة والفريضة في الفرق ما بين حدود الكفر والإيمان ، والتصديق والنكران في محل الأصول من أوثق الأركان ، لا ينبغي التغافل عنه وتركه بعيدا عن الإيضاح والبيان ، فالقوم يكفرون على هذا ويعتقدون البهتان ، أنتم تدعونهم للحق في أمر المهدي والفرقان ، وهم يعتقدون بكم الكفر

بتكذيب المصطفى ﷺ وربنا الرحمن ، ما يحتم في اعتقاد أهل الحق والتصديق مجابهتهم في باطلهم هذا من الابتداء وإيقافهم على حقيقته الشرعية القرآنية السنية ، وتعريفهم بمدى شدة شناعة هذا المنكر ، وكيف أنه من الباطل والمحال لما بينه المهدي عليه السلام من أدلة السنة والكتاب في رده على بعض القائلين بهذا المنكر العظيم من أهل البهت والنكران . ومنهم وأخصهم سفيه بريدة القصيم أبي حصان . وذلك في كتابه (فتح المنان) وأن لازم هذا المنكر العظيم ومقتضاه كفر القائل نفسه نعوذ بالله تعالى من الخيبة والخسران بالردة عن هذا الدين العظيم .

وما درج على هؤلاء الجهلة هذا المنكر وتساهلوا في وهلهم وظنوه حقا إلا من استنكارهم إطلاق لفظة الإرسال على المهدي وليس في حسبانهم أن القرآن أوردها صريحة ويريد بها المهدي عليه السلام ، وأن المصطفى ﷺ قالها جلية في حفيده ، فكيف يقال بعد هذا بتكفير معتقد الإرسال في المهدي إلا ممن لا يعقل ويعي ، وإلا ما وقع بهذا الكفر وجره على دينه وعقيدته بنفسه ، وفي القرآن والسنة ما يمنع من هذا ويبطله .

فصـل

ورود صفة الإرسال في القرآن على الوجه الشرعي والقدري

وردت لفظة الإرسال في القرآن عامة وخاصة ، مقيدة وغير مقيدة ، مضافة وغير مضافة ، على اعتبار المعنى الشرعي أو القدري ، حتى بلغ الأمر من بيانه سبحانه أن قال في الإرسال : ﴿ ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا ﴾ .

وقال سبحانه :﴿ بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد ﴾ . وفي إجماع الأمة أن هؤلاء المبعوثين كفارا وليسوا بمسلمين ! .

فإن كان الوصف بالإرسال قد يقع مضافا للشياطين والكفار؟! ، فكيف يجوز بعد هذا لمجرد ذكره إنكاره على أمر المهدي ومنعه بغير بينة وبرهان في مقابل ما دل على جوازه وأنه من هدي القرآن والسنة والفرقان ؟! ، ناهيك عن التكفير بذلك وادعاء الخروج به من الملة والحنيفية الغراء .

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى : إن الله يرسل الكذاب كإرسال الشياطين في قوله تعالى : ﴿ ألم تر أنا أرسلنا الشياطين ﴾ . ويبعثهم كما في قوله تعالى : ﴿ بعثنا عليكم عبادا لنا .. ﴾ . لكن هذا لا يكون إلا مقرونا بما يبين كذبهم .

ولفظ الإرسال يتناول إرسال الرياح وإرسال الشياطين وغير ذلك اهـ [1] .

يريد رحمه الله تعالى في ذكره ارسال الرياح قول الله ﷻ : ﴿ وهو الذي يرسل الرياح بشرى بين يدي رحمته .. ﴾ . وهذا والذي قبله من الإرسال في معناه القدري ، وبعث المهدي وإرساله داخل في معنى الإرسال العام بمعناه الشرعي الديني كونه من المعلَّمين المحدَّثين الذين دل القرآن دلالة صريحة على جواز إرسالهم من المولى ﷻ وذلك في قوله تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته .. ﴾ .

وهذه الآية دالة على جواز إرسال المعلَّم من الله تعالى ، والمعَلَّم قد صرح القرآن بإرساله في أمة مُحَمَّد ﷺ بعده وذلك في قوله ﷻ : ﴿ فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين . يغشى الناس هذا عذاب أليم . ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون . أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين . ثم تولوا عنه وقالوا معلَّم مجنون ﴾ .

وقد بين رسول الله ﷺ بما لا يدع مجالا للشك أن المراد بالمعلَّم هنا غير النبي فيما رواه ابن سعد في كتابه الطبقات عن عبد الرحمن بن أبي الزناد قال : سمعت ابن أبي عتيق يحدث عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله ﷺ قال : (ما من نبي إلا في أمته معلَّم أو معلَّمان ، وإن يكن في أمتي أحد فابن الخطاب ، إن الحق على لسان عمر وقلبه) .

---

(1) (المنهاج 226/3) .

فهل يسع مسلم يخاف الله تعالى ويوجب على نفسه بدينه تصديق الله تعالى ورسوله أن يُنكِرَ هذا ؟ ، اللهم لا ، ناهيك عن من كفر مؤمنا إذا صدق بهذا وأيقنه ! ، ولا شك أن من يقدم على هذا المنكر العظيم ويظن اعتقاد تكفير من قال بهذا وصدقه ، أنه هو الكافر الملعون المطرود من رحمة الله تعالى سيدخله نار جهنم خالدا فيها فبئس المصير ، وذلك لتكذيبه هذا القرآن وهذا الخبر النبوي المصدق للقرآن .

والمهدي اللحيدي عليه السلام حين قال عن نفسه بالتأويل إنما قاله عن تصديق ويقين لما قدر المولى ﷻ من أمره وبعثه من خلال رؤيا مثال المصطفى ﷺ في مبشرات النبوة ، ولَمَّا أيقن ذلك وعرف أنه دين وحق ، ما تركه الله تعالى إلا وقرن بدعواه دليل صدقه وبراهين أحقيته بهذا الأمر ، وما زال الله تعالى يظهره بالحجج البينة ، ويثبته ببرد اليقين وسلطان العلم والبراهين النيرة ، وليس وراء ذلك إلا الكفر والتكذيب والنفاق .

ومما ذكر المهدي عليه السلام في رده على أحد مكذبي أمره وحسن ذكره هنا ، هذا الكلام النفيس في تقرير هذا المعنى وذلك قوله : لا ينكر صحة القول بإرسال (المعلَّم) في هذه الأمة إلا جاهل ضال كالحميد هذا ، وقد جاء عن رسول الله ﷺ استحقاق (المعلَّم) للنبوة وذلك في خبر عقبة بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ : (لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب) . فإذا كان عمر في كونه من المعلَّمين استحق أن يكون نبيا لولا بعث رسول الله ﷺ فما الذي يمنع أن يكون المهدي المعلَّم الثاني في هذه الأمة مستحقا لوصف الإرسال كما استحق عمر ﷺ لوصف النبوة إلا أن المانع لذلك كان تحقق بعث رسول

الله ﷻ ، وقد جاء القرآن مصرحا في إطلاق وصف الإرسال على المهدي ما علم به انتفاء المانع الذي ثبت بحق عمر اهـ . (فتح المنان 97)

وتعليقا على قوله تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدَّث ﴾ . قال عليه السلام :

إن جاز فيمن سبق إرسال من هو محدّث مع كثرة بعث وإرسال الرسل والأنبياء قبل هذه الأمة وفي بني إسرائيل على الخصوص فما المانع من أن يكون بعث وخروج المهدي إرسالا من المولى ﷻ وليس في هذه الأمة إلا نبيا واحدا وهو سيدي وإمامي عليه السلام ، إكراما لهذه الأمة ورحمة بها ، وهذا وفق النظر السليم ، فكيف إذا ثبت صحة تحقق هذا عن الله ورسوله ﷺ على ما بينته سابقا ، ولا شك أن إنكار هذا بعد هذا يعدّ تكذيبا لله ولرسوله ﷺ ، وهل يريد الحميد أبي حصان ترك بشرى الرحمن لمحدثات أفكاره وسقطات هذيانه ؟! .

وأنا لا أشك هنا أن الحميد وغيره من ضلال هذه الأمة انقدحت عندهم شبهة تلازم الإرسال والتشريع ، وأنه لا يكون الرسول رسولا إلا بتشريع جديد وهذا باطل من الاعتقاد ووهم وقع به الكثير .

قال الحميد في رده : ومن زعم أن الله يرسل رسولا بعد مُحَمَّد ﷺ سواء المهدي أو غيره فهو كافر ، حتى عيسى عليه السلام حين نزوله من السماء لا يقال : إنه مرسل إلينا حيث إنه تابع لمحمد يحكم بشرعه اهـ .

وهذه منه بلية عظيمة ، ولغو أخرق ، فعيسى رفع رسولا وسيعود رسولا عظيما هو ومن معه ، بل جاء عن نبينا أنه يضع الجزية وهذا ليس من تشريع مُحَمَّد ﷺ ولا ينافي هذا لا الختم بمحمد عليه الصلاة والسلام ولا بكون عيسى رسولا لله ، ولا معنى هنا أبدا لما قرر الحميد بعدم إرساله إلينا ، والضمير في إلينا إنما يعود للحميد وكل أخرق أرعن مثله ، وهؤلاء ما بعث عيسى ومُحَمَّد والمهدي إلا لفضح أحوالهم وإبطال أقوالهم التي زيفوا بها دين الله الحق وأذهبوا نور كلماته .

وعودة رسل الله ومعهم مُحَمَّد ﷺ ما هو إلا إتماما وختما لجميع رسالات رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم ، وهكذا اقتضت إرادة المولى ﷻ أن يشهد على كل أمة رسولها ، وعيسى حينما يرجع رسولا لله شاهدا على بني إسرائيل وخراف النصارى ومن اللغو البارد القول هو رسول لهم لا رسول لنا ، والحق أنه رسول الله ويعمل بأمر الله لا ينسخ شريعة الله المنزلة على مُحَمَّد ﷺ بل هو متبع يعود في غير زمان تكليف ، والمهدي مثله تابع لرسول الله عامل بشريعته ولا ينافي أبدا هذا كونه يرسل من الله ﷻ ، إلا عند الحميد الجاهل وأمثاله .

يوضحه الآتي : أنه صح عن رسول الله ﷺ قوله : (لقد كان فيمن قبلكم من بني إسرائيل رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء ، فإن يكن في أمتي منهم أحد فعمر) . وفي لفظ : (قد كان فيمن مضى من الأمم محدّثون) . وكون هؤلاء غير أنبياء مع هذا التكليم والتحديث ، ومع هذا جاز على

بعضهم الإرسال بنص قراءة ابن عباس وأبي بن كعب وفي هذا أبلغ رد وإبطال لمعتقد الحميد الزائف في جعل النبوة لازمة للإرسال ، ليتوصل الخبيث بهذا إلى زعم إبطال اعتقادي إرسال المهدي ومن ثم تكفيري بهذا اللازم في معتقده وكل هذا الباطل المبني على باطل ، ظلمات متراكمة في قلب هذا الزنيم اهـ . (المرجع السابق ص 43)

فصـل

من أدلة إرسال المهدي الشرعي في السنة

ومن أدلة إرسال وبعث المهدي من الله تعالى وفق السنة قال عليه السلام مستدلا بالتالي : وأما السنة فكما ورد في حديث علي ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (لو لم يبق من الدهر إلا يوم لبعث الله رجلا من أهل بيتي يملؤها عدلا كما ملئت جورا) . وإدخال اللام هنا على (بُعث) لتأكيد تحقق البعث من الله ﷻ ، وهذا من لطائف التأييد هنا .

وعن أبي سعيد ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (يصيب الناس بلاء شديد حتى لا يجد الرجل ملجأ ، فيبعث الله رجلا من عترة أهل بيتي يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا) .

وقال ابن عباس ﷺ : إني لأرجو أن لا تذهب الأيام والليالي حتى يبعث الله منا أهل البيت غلاما شابا حدثا ، لم تلبسه الفتن ولم يلبسها يقيم أمر هذه الأمة .

فهل ابن عباس كافر على وفق مذهب الحميد ومن على شاكلته لاعتقاده الإرسال والبعث بعد النبي ﷺ ، لا شك أن الحميد كافر بالله العظيم لا ابن عباس المؤمن بأخبار رسول الله ﷺ .

وليستنجد الحميد بمن شاء من حنابلة السفه ، هل هم مخرجوه من هذه الورطة التي أوقع نفسه فيها ، فإن البعث كما عرف في لغة العرب معناه الإرسال وقد أضيف على ما ورد في هذه الأخبار إلى المولى ﷻ ولا يكون على هذا الوجه إلا وهو البعث والإرسال الشرعي كما قال ﷻ عن نبيه : ﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ﴾ أي أرسله فيهم . قال في المختار : بعثه وابتعثه أي أرسله .

وفي الصحيحين عن حذيفة قال : جاء أهل نجران إلى رسول الله ﷺ فقالوا : ابعث إلينا رجلا أمينا ، فقال : (لأبعثن إليكم رجلا أمينا حق أمين) قال : فاستشرف لها الناس . قال : فبعث أبا عبيدة بن الجراح . وفي صحيح مسلم عن أبي الهياج الأسدي قال لي علي : ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ، فأمرني ألاّ أدع قبرا مشرفا إلا سويته ، ولا تمثالا إلا طمسته .

وغير هذا كثير مما يفيد أن البعث والإرسال معناهما واحد ، ومن رام دفع دلالة سورة الدخان عن إرسال المهدي آخر الزمان كأبي حصان هذا ويركب الجهالة عنادا كما فعل فليذكر دائما وأبدا أن بعثه وإرساله نص عليه كذلك رسول الله ﷺ في أخباره ، ومن فرق ما بين الكتاب والسنة لا جمع الله تعالى عليه أمره وشتت عليه مجتمعه ، وأما من كفر باعتقاد ذلك فعليه لعنة الله إلى يوم الدين ، فهو تكذيب لخبر الله ورسوله وتكفير لما يحب الله ورسوله اهـ . (المرجع السابق)

فصل

من أدلة البعث بالمُلك في القرآن

لقد ثبت في القرآن الدليل على تحقق البعث الشرعي في بني إسرائيل على الرغم أن ذلك لم يكن في (معلَّم) محدث مكلم ، ومع هذا وصف ذلك الرحمن في كتابه العزيز بأنه بعث منه بإضافته إلى نفسه العظيمة إضافة تشريف ، وللأمة في هذا الخصوص زيادة مزية على بني إسرائيل إذ تحقق بعث الملك الشرعي فيها بـ(معَلَّم) محدث مكلم ، وأيضا باصطفاء مجرد عن كل تمني وطلب من البشر ، خلاف ما حصل في بني إسرائيل إذ هم من طلب ذلك من نبيهم بعد أن كانوا يحكمون بالأنبياء ، ولما أرادوا مشابهة حال الأمم والشعوب من حولهم طلبوا حين ذاك من نبي لهم أن يجعل فيهم ملكا كما الأمم الأخرى ، فاستجيب طلبهم وكان من قصصهم ما ذُكر في كتاب الله العزيز .

وخير تفصيل لهذه الحقيقة الشرعية ما أورده المهدي عليه السلام في كتابه النافع (نثر الدرر في جواب إشكالات على أمر المنتظر) ينقل هنا بتمامه لفائدته العزيزة ، قال عليه السلام :

قال تعالى : ﴿ فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين ﴾ [2] وقال تعالى : ﴿ والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم

(2) سورة الزمر (32) .

المتقون ﴾ [3] فالمخبر بالإرسال مع ثبوته هو الذي جاء بالصدق وصدق به ، والمكذب بالإرسال مع ثبوته بالبراهين هو الذي كذب بالحق لما جاءه .

وهنا أقول : لكل من يخالف في عدم ثبوت صحة القول ببعث وإرسال المهدي من الله تعالى آخر الزمان أن ينظروا جميعا بإخلاص ما يناسب من يثبت صحة هذا الادعاء وينفيه كما فعلوا ، فكلا الوصفين الذين حتما لزم حكمهما أحدنا إما الكَذِب أو التكذيب ، وكلاهما ترتب عليه الوعيد بدخول جهنم والعياذ بالله تعالى في حال ثبوت موجبه وشرطه .

فمن صَدَقَ بدعوى الإرسال لزم مكذبه ثبوت الشرط واستحقاق الوعيد بإدخاله جهنم ، ومن كَذَبَ بدعواه الإرسال ثبت بحقه الشرط الموجب لدخول النار .

أما عني أنا فقد نظرت في الأمر فما وجدت إلا عامة من يلقب بأهل السنة وخاصتهم من المعاصرين جهلة جهلا مطبقا مركبا في أمر المهدي عموما، وفي كونه يبعث ويرسل من الله تعالى خصوصا ، ما لا يوثق معه بترجيحاتهم وتصوراتهم ، إذ أن أفهامهم الكليلة المتبلدة إلى حد الجمود في هذا الباب تمنع من ذلك ، حتى أنهم لم يتمكنوا من بلوغ إدراك دلالة الكثير من النصوص في شأنه على الرغم من انطباقها انطباقا تاما مع واقع تحقق التأويل ، وهؤلاء وهم بهذه المنزلة لا يتخذهم قدوة وحكما في هذا الأمر إلا من هو أجهل منهم وأضل ، ولن يكون في هذه الضلالة العمياء إلا راداً على الله حكمه ومكذبا للمهدي في صدقه والعياذ بالله .

---

(3) سورة الزمر (33) .

ومن أظهر ما يدل على جهلهم في هذا الخصوص وجرأتهم في التكذيب على الله تعالى مخالفتهم في عدم تصديق وعد الله تعالى أنه سيملك في أمة مُحَمَّد ﷺ خليفة كما فعل قبل في بني إسرائيل في قصة طالوت ، قال ﷻ : ﴿ ألم تر إلى الملإ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله . . ﴾[4] وقال : ﴿ وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤتَ سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم . وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم . . ﴾[5] .

فهذا في قصة أول تمليك في بني إسرائيل وقد صارت لهم سنة أن يكون من الله تعالى التمليك فيهم ولذا سماه سبحانه وتعالى بعثا ، وهو بعث شرعي وإرسال من المولى ﷻ ، إلا أنه بعث وإرسال في الملوكية والحكم لا النبوة المطلقة والإرسال المطلق ، وهو مع ذلك من جنس بعث وإرسال الأنبياء والرسل الذي لا يكون إلا من الله تعالى ، قال تعالى : ﴿ كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين.. ﴾[6] مع قوله في طالوت : ﴿ وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا . . ﴾ فسمى تمليكه عليهم بعثا لاشتراكه في أصل النبوة والإرسال وهو الوحي !! ، ولذا عده الله ﷻ من أعظم النعم على بني إسرائيل إذ ذكره قرينا للنبوة والكتاب في الذكر ، قال تعالى : ﴿ ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب

---

(4) سورة البقرة (246) .

(5) سورة البقرة (247–248) .

(6) سورة البقرة (213) .

والحكم والنبوة . . ﴾[7] وقال تعالى : ﴿ أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة . ﴾[8] .

ولبيان منزلته العظيمة عنده وتوثيقا لهم في أن مرده له وحده سبحانه من دون غيره حتى أنبياءه ، جعل لهذا الاختيار والاجتباء للملك في بني إسرائيل آية وهو التابوت فيه سكينة لهم ! .

ونظيره في المهدي عليه السلام جعل له آية تواتر الزلازل ، وهي لا تقل بالمنزلة من جلب التابوت تحمله الملائكة ، فالزلازل كذلك من فعل ملائكة الله تعالى ليس للبشر ولا الشياطين مقدور عليها ليلتبس الأمر ! ، بل قد يدخل اللبس بحملة التابوت ، فالشياطين تحمل أثقل من ذلك ، أما الزلازل فليس بمقدور أيا كان من المخلوقات فعلها على الإطلاق ، أمرها قدري بحت كالخسف وما شابهه من جنس الآيات العظيمة .

وهذا الجنس من الحكم المضاف للرحمن تعالى ، حكمٌ خاص يؤتى به العبد من لدن العلي العظيم كما يؤتي عباده الكتاب والنبوة ، قال ﷻ في ذلك:

﴿ ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ﴾[9] .

---

(7) سورة الجاثية (16) .

(8) سورة الأنعام (39) .

(9) سورة آل عمران (79) .

وهذا الاستخلاف في الحكم سيكون مثله في أمة مُحَمَّد عليه الصلاة والسلام كما كان في بني إسرائيل ، وكل من قال سيكون له ولغيره في الأمة يعد كاذبا على الله تعالى ، كما أن من يقول لن يكون مثله في أمر المهدي يعد كاذبا كذلك على الله تعالى ، وهو استخلاف خاص لا يكون إلا بوحي من الله ﷻ وكاذب ملعون كل من ينكر هذا لرده كتاب الله تعالى وسنة نبيه المصطفى عليه الصلاة والسلام في إثبات ما أقرره هنا ، وعلى هذا النحو استحق مهدي الله تعالى إضافة التشريف لله على لسان رسوله الكريم ﷺ حين قال في صفته : (خليفة الله تعالى) [10]. وهي إضافة خاصة تفيد التشريف والتكريم مثل : بيت الله ، روح الله ، ناقة الله .

قال ﷻ : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا.. ﴾ [11]. أتى هنا بالكاف للتشبيه ، وهي تقتضي المشابهة في الصفة ، وهو مما لم يقع من قبل في هذه الأمة والأمر كما قلت أمر خاص بالاستخلاف ولن يكون في هذه الأمة إلا لمهدي الله تعالى كما لن يكون إلا بوحي من الله كما كان في بني إسرائيل ، وكل مكذب لهذا إنما هو مكذب لكتاب الله في إخباره وراد عليه كاف التشبيه المذكورة في الآية .

وعلى وفق هذا الأصل خرج لفظ حديث من أحاديث المهدي كما روي عن أبي سعيد ﷺ عن رسول الله ﷺ قال : (لا تقوم الساعة حتى يستخلف رجل من أهل البيت)[12]. ومن المعلوم أن المهدي غير مسبوق بالخلافة حتى يستخلف

---

(10) وهذا اللفظ ورد عن ثوبان وحذيفة رضي الله عنهما .

(11) سورة النور (55) .

(12) أخرجه أبو نعيم في أخبار أصبهان بهذا اللفظ (84/1) .

ممن سبق ، وإنما المستخلف له في أمره سيكون الله ﷻ على مثال من سبقه في بني إسرائيل ، ومن هنا جاءت إضافته إلى المولى ﷻ على لسان رسوله ﷺ : (خليفة الله) . أي هو الذي يستخلفه ، ولا يمكن بحال تصور حصول ذلك من غير وحي من الله تعالى ، فليتنبه لذلك لأهميته !! .

ويجدر هنا أيضا التنبيه على ما ورد في آية الاستخلاف المذكورة في سورة النور من ذكر الخوف ، وهو الوصف المطابق لحال عباد الله الصالحين اليوم في جميع أصقاع الأرض ما يصح اعتباره من أمارات قرب تحقق التمكين في الأرض للمهدي لمطابقة إخبار الآية واقع حال هؤلاء الصالحين الذين نسأل الله تعالى القادر على كل شيء أن يكون فرجهم قريبا وليس بعيدا .

هذا ما في كتاب الله تعالى من دون تفصيل الكلام على ما ورد في سورة الدخان وبيان مدى تعلقها ببعث المهدي طلبا للاختصار ، وقد فُصل في بيان دلالة الآيات في سورة الدخان على بعثه في كتابي (وجوب الاعتزال) .

كما لا يفوتني هنا التنبيه في وجه النفاة على ما يؤكد تحقق هذا في أمة مُحَمَّد ﷺ بدلالة عموم نصوص أخرى ، منها ما ورد عن المستورد بن شداد ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال : (لا تترك هذه الأمة شيئا من سنن الأولين حتى تأتيه) . ومن السنن كما قلت قبل ، سنة الاستخلاف وهي ستكون في هذه الأمة مثل ما كانت في بني إسرائيل سواء بسواء ، وعلى هذا نص كتاب ربنا صدَّق من صدَّق ، وكذَّب من كذَّب ، ومن أراد بالجدال إبطال صحة ثبوت وجواز وقوع هذا في الأمة المرحومة أسوة بمن سبق فقد طالب بالمحال !.

قال ابن عباس ﷺ : لم يكن في بني إسرائيل شيء إلا وهو فيكم كائن !![13]. وعن ابن عمرو ﷺ : لتركبن سنة من قبلكم حلوها ومرها !![14]. وعن ابن مسعود ﷺ : أنتم أشبه الناس سمتا وهيئة ! ببني إسرائيل تتبعون آثارهم ! حذو القذة بالقذة حتى لا يكون فيهم شيء إلا كان فيكم مثله !![15].

ومثله عن عبادة ﷺ : إنما هي السنن تتبع بعضها بعضا، إنه والله !! ما من شيء فيمن كان قبلكم إلا وسيكون فيكم [16]. اهـ (نثر الدرر ص 47)

---

(13) نعيم (38/1) والسنة للمروزي (ص 25) .

(14) المروزي في السنة (ص 25) وقال في الفتح رواه الشافعي بسند صحيح (301/13) .

(15) المروزي (ص 25) .

(16) المروزي (ص33) .

فصل

استخلاف الله للخليفة قرين ونظير لبعث وإرسال النبي

مثل ما أورد الله تعالى في القرآن العظيم الوصف بالبعث (للخليفة) وذلك في قوله سبحانه عن ملك بني إسرائيل وخليفته فيهم : ﴿ وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا .. ﴾ .

مع قوله تعالى : ﴿ ألم تر إلى الملأ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله .. ﴾ . وهذه الآية فيها أن الطلب من النبي عليه السلام ، لكن الله تعالى هو الذي بعث واختار عين هذا الملك ونصبه بنفسه عليهم ، وكان بوسع النبي لو جاز له أن يختار لهم على حسب طلبهم الذي كان منه شخصيا ، لكنه لم يولي عليهم باختياره ! بل الله تعالى هو الذي اختار وفي هذا دلالة على أمر ما يدرك من سياق القصة ، وهو أن اختيار الملك الشرعي قد يرجع للمولى عز وجل في بعض الأحوال المخصوصة ، مثل الحال في بني إسرائيل على سبيل الابتداء ، ومثل ما سيكون عليه الحال في هذه الأمة على سبيل الانقطاع والترك من الإرادة البشرية المأمورة بواجبات الشرع ، فهي لما عطلت هذا الحكم ولم تنهض لإحياء ما يؤدي واجباته ، ما تعين معه بحكمة الله تعالى أن يرجع الأمر لنفسه نظير ما حصل في بني إسرائيل ، لكن هناك على سبيل الابتداء الغير مسبوق ، وفي هذه الأمة على سبيل ما ذكرت ، فتطابقت السنة من حيث المعنى وإن افترقت من حيث السبب والسبيل ، إلا أن المحصلة النهائية واحدة وعليه أتى بالكاف للتشبيه ما بين الحالين في قوله عز

وجل : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم .. ﴾ يريد بني إسرائيل .

أقول : مثل ما أورد الله تعالى في حق الملك الوصف بـ﴿ البعث ﴾ ، على ما مر في خبر (طالوت) الملك الأول لبني إسرائيل ، ونظيره في أخبار المهدي عليه السلام (ملك) المسلمين خليفة الله تعالى الأول والأخير في هذه الأمة الآتي حكمه ، وذلك في قول رسول الله عنه : (أبشركم بالمهدي يبعث في أمتي على اختلاف من الناس وزلازل) .

ومثله قوله ﷺ : (إن الله لم يبعث نبيا ولا خليفة ..) [1]. وفي البخاري عن أبي أيوب الأنصاري عن رسول الله ﷺ : (ما بعث الله من نبي ولا بعده من خليفة ..) [2].

وهنا يتضح أنه جعله قرينا في الوصف مع الأنبياء والرسل وذلك من مثل قوله عز وجل : ﴿ كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين .. ﴾ وقوله تعالى : ﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم .. ﴾ ما يدل بديهة على الاشتراك بأصل البعث ، وهو اختيار الله تعالى على وفق إرادته الشرعية ، وهذا مما لا يكون إلا على سبيل الوحي الخاص ! .

---

(1) رواه البخاري في الأدب المفرد وعنه الترمذي في سننه وصححه .

(2) ذكره معلقا .

أقول كذلك : ورد ما يؤكد على صحة هذا المعنى الذي دل عليه آيات القرآن الكريم فيما ذكرت آنفا وأخبار المصطفى ﷺ ، وذلك بما روى بعضهم عن رسول الله ﷺ أيضا قوله بخصوص خبر الخليفة المختار من الله تعالى : (لا تقوم الساعة حتى يستخلف رجل من أهل بيتي)[3]. روي عن أبي سعيد الخدري ﷺ .

ولفظه عند البخاري عن أبي هريرة ﷺ : (ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة)[4]. وهذا يبين أن الإتحاد في الأصل ، ما بين بعث النبي واستخلاف الخليفة ، فقد أضيف الأمرين في هذا الخبر لله تعالى ، وهو أصل الإضافة في قول رسول الله ﷺ في خبر المهدي (خليفة الله تعالى) ، ومثل أن يقال (نبي الله) صح القول بـ(خليفة الله) على وفق هذا الخبر وغيره للاشتراك في الأصل ، وهو الوحي الذي لا يكون في مثل هذا إلا من الله تعالى على وفق إرادته المطلقة الشرعية والقدرية .

وتعليقا على معنى خبر أبي هريرة وأبي أيوب رضي الله عنهما السابقين قال المهدي عليه السلام ردا على الحافظ ابن حجر في الفتح حين استشكل إيراد كلمة (بعث) في الخبرين ، بقوله :

---

(3) أخره أبو نعيم في أخبار أصبهان (84/1) .

(4) راجع الفتح (99/15) .

وقد استشكل الحافظ ابن حجر لفظ الحديث من طريق أبي هريرة وأبي أيوب الأنصاري ، لقوله ببعث الخليفة في هذه الأحاديث ، وقال : لفظ الرواية عن أبي سعيد تفسر المراد بهذا ، وأن المراد ببعث الخليفة استخلافه اهـ[5] .

قلت : الاستخلاف والبعث في هذه الأخبار المعنى والمراد في ذلك كله سواء لا فرق بينهما ، وكل ذلك لا يكون إلا من الله تعالى مثل ما هو في النبي هو في الخليفة كذلك ، ومن الخطأ حمل الأمر في الخليفة هنا على العموم ، ولذا لما استشكل ابن حجر القول ببعث الخليفة لما تدل عليه هذه الكلمة ! ، لاذ بلفظ الحديث عن أبي سعيد . في الاستخلاف . ، وأبو سعيد نفسه ﷺ روي عنه في أخبار المهدي على كلا الوجهين والمعنيين ، سواء بالاستخلاف ومراده أن المستخلف الله تعالى ، أو بالبعث ومراده أن ذلك لا يكون إلا من الله تعالى أيضا ، وعلى هذا فالحافظ لاذ بما هو عليه لا له ! .

ولما كان هذا الملك والاستخلاف من الله تعالى ذكره سبحانه كما قلت سابقا في امتنانه على بني إسرائيل في جعله قرينا للكتاب والنبوة وفي هذا المنتهى في بيان فضيلة ومكانة هذا التمليك والاستخلاف عند الله تعالى .

والآن يقال لأبي حصان . مخبول بريدة الذي تولى كبر ضلالة تكفير معتقد إرسال المهدي . : حِدت عن سورة الدخان أن تكون في إرسال المهدي ، فمن سيكون معك الآن في إنكار السنة أن تكون نصت على إرسال المهدي آخر

---

(5) الفتح (99/15) .

الزمان هي أيضا ، وإذا جاز تحقق إرساله من الله تعالى في السنة فما المانع من أن ينص القرآن على إرساله كذلك ، أم هو عظيم في القرآن هين في السنة ؟! .

والحق أن الإرسال من المولى عز وجل سواء كان خبره في الكتاب أو السنة فهو الإرسال الشرعي المحبوب لله تعالى المعهود ، ونسبة الكفر لمعتقد تحقق إرسال الله عز وجل للمهدي آخر الزمان إنما هو كفر من قائله وزندقة من معتقده ، فمآله وحقيقته إلى تكفير رسول الله ﷺ والعياذ بالله تعالى ، فهو الذي قطع بإرسال المهدي آخر الزمان في أكثر من حديث ، وإنما هان على الحميد مجادلة القرآن في ذلك لأن القرآن انتهى أمره إلى أن يتجاسر على التهوك بوجهه ورده كل منافق ملعون من أمثال هذا الحميد وغيره من جنود إبليس أعداء كلمات الله تعالى ورسله .

هذا ما انتهى إليه الحميد اللعين ، التكفير بما كان رسول الله ﷺ يعتقده ويصدق به اهـ . (فتح المنان ص 103) .

هذا وفي الختام أسأل الله تعالى التوفيق والسداد في أمرنا هذا كله ، لكل المؤمنين والمسلمين ممن لا نعرفهم ، وممن نعرفهم من الأصحاب والأحباب ، وصلي اللهم على نبينا وآله وصحبه وسلم .